صمم الغلاف الفنان :

مكرم حنين

محمّود درويش

شاعر المقاومة الفلسطينية

عصافير بلا أجنحة

الديوان الأول للشاعر

دار العودة - بيروت

ميلاد هذه القصائد

● « .. كان ذلك في شهري آب .. وأيلول من هذا العام .. آخر الصيف .. وأول الخريف .. الصيف الحار الفضولي .. الصيف الفنّان .. الصيف الثائر القوي الذي يحمل في قلبه تموز الثائر البطل .. الذي يقول لكل جرح : اثأر ! اثأر !.. لقد أذّن الفجر وسبّح .! والخريف.. الفنّان الحزين اليائس .. الذي ذرّى وأسلم أمره .. وكل أيّامه ولحظاته للريح تبعثرها بلا حساب ..

.. في آب وأيلول .. ازدحمت الدنيا على بابي : الحب .. والعذاب .. والكفاح .. والثورة .. والألم .. والنداء المبحوح القادم من البعيد .. من البعيـد .. وازدحمت في أعصابي

الانفعالات والاهتزازات المتلاحقة باستمرار وغرابة..وأُصِبْتُ بمرض.. أو سمّوه إذا شئتم إغماءة الكتابة .. كان عليَّ أن ألبّي النداء مرغماً .. وكان عليَّ في هذين الشهرين بدون أن أدري – أن أعيش عاماً كاملاً كان قد مرّ وانزوى في قافلة السنين التي لا تعود .. كان عليَّ أن أعيشه من جديد .. وأحسّ بإحساساته من جديد كأنها واقعة تماماً .. وأنا لا أعرف ماذا أصنع ..

.. أقول لكم بصراحة : إن هذين الشهرين حيّراني كثيراً كثيراً .. وفرضا عليَّ نشر ديوان .. وجمعت القصائد هذه الجديدة .. ورجعت إلى بعض مقطوعات قديمة .. فلملمت شيئاً منها كنتم قد قرأتموه من قبل .. وأضفته إلى الديوان ..»

« وهذه القصائد تقدّس الحريّة .. وتقبّل الشهداء .. وتغنّي على شباك حبيبتي .. وتبكي مع شريد ضائع .. »

* * *

« .. فالشعر من الفن .. أعذب وأنعم أغنية على شفاه

الفن .. وأعمق جذر في دوحة الفن .. والفن فوق الحدود .. فوق حدود الزمان والمكان ..! فكيف نستطيع .. نحن الأقزام على مائدته .. أن نحدده ونكبله .. ونطعمه كلمات واصطلاحات .. وهو العملاق الساحر الذي دوّر الشمس.. وطرّز حلقات النجوم .. وأسبل مخدته جدائل الأصائل والأسحار ..!

.. ونقّط على حلمة كل وردة قارورة ربيع رائع !

.. ودلق من أباريقه ألف غدير للروعة والسحر !

.. وحمل كل حرف من كتابه مفتاح خزانة الحب السحرية !

. . . .

.. وهو الذي أشعل حول كل قيد بركان ثورة !

.. وفي قلب كل مظلوم جمرة حقد لا تنطفىء !

. . . . »

« .. وعصافير بلا أجنحة خلقت لتطير وتحلّق .. وتدوّخ اللحظات في تحليقها .. شاء لها القدر أن تقصّ أجنحتها ..

وتنزف دمها على شوك الألم والحرمان هدراً وبلا نهاية ..
لتعقد قصيدة حمراء على فم التاريخ الانساني المعذّب ..

وشاء لها القدر أن تذرّي الزوابع أعشاشها وتنتف ريشها الذي خلق ليجتمع ويكون جناحاً فما كان ..

عصافير خلقت لتغني على الينابيع الزرقاء .. وفي الآفاق الزرقاء بانطلاق أزرق .. شاء لها القدر أن تضيع .. وتتحرق بلا سماء .. وبدون أرض .. وراء أسلاك الصمت والضياع !

لهذه العصافير أغني .. وأتألم .. وأثور ..! ولأجلها أصرخ في وجه الشمس كي تحيك من خيوط أشعتها ريشاً لها لتنطلق غداً من جديد ..!

ولغد هذه العصافير أقدّم قصائدي ! »

محمود درويش
حيفا ١٩٦٠

شاعر

دنيايَ رفّ على الآفاق منسرحُ
وشرفةٌ في جبين الشمس تنفتحُ !
ليَ السماء .. وعندي في ملاعبها
عريشة الشعر .. والأحلام والمرح !
ليَ النجومُ ، أضاميماً منمقة
بها أغاريدُ عمري البكر تتشحُ
عمري طموح إلى الأبعاد مندفع
حدودهُ .. زرقةَ الآفاق تكتسحُ
وخضرة .. حصدتْ مليون رابية
صلى الربيعُ عليها .. ظلٌ ينسرحُ
يُفتّقُ الحب في جنبيَ أنهره

وفي حنـــين شبابي يطفرُ القدحُ
قصائدي نزفت ألوانَ ملحمة ..
في كل مفصل حرف عشّشَ القزح
أنا صديقك يا أطيـــارُ لا تسلي
عني .. فتلك شفاه المجد تمتدح !

* * *

وجـــاءني الصبح يا أوهام أخيلتي
موتي ! فقصّة شعبي البؤس.. والبرح
تلك الجراح تصلي .. والصليب على
أبوابنا ، قدَر .. والناس ما برحوا
أودُّ لو طرت نحو الشمس احملها
لأمة تشتهي الحق الذي جرحـوا
أودُّ لو طرتُ ... عصفور أنا غرد
زوادتي الحب .. والألوان .. والفرح

قلبي .. الملايين في قلبي لها غرف
أضلاعها خصل الضوء الذي سفحوا
على شفاهي صفاء اللحـــن منهمر
فألف ألف هزارٍ في فمي صدحوا
أودّ لو شربته أمة نذرت
للصمت أيامها .. والليل منطرح
للضائعين على صـــحراء غربتهم
لم يعرفوا الورد مذ راحوا..ومذ نزحوا
على خطاهم تنـــام الشمس كابية
يا رحمة الشمس ! لو أطلالهم لمحوا
لكنني ، وجنـــاح الشعر يحملني ،
بلا جناح .. دمي في الشوك منسفح
وسوف أبقى أروّي من نزيف دمي
حكاية البعث .. والمجد الذي ذبحوا
فتكتسي كلماتي ريش أجنحـــة
وتطعم الريـــح ليلاً .. تحته رزحوا

وأستعيد ..

مدانا خاطر عبق

بشرفة في جبين الشمس تنفتح

لنا النجوم أضاميمـا منمقة

بها أناشيد شعبي الحي .. تتشح

قصائدي نزفت اعصار ملحمة

تقول للمجد : اشرب ! عندنا القدح

اغنية ليست خضراء

من بلادي

في بلادي ..

حيث لم يخفق شراع السندبادِ

حالماً ؛ يحمل سلاً من أحاديث الجهاد

وحكايات عن الأبطال ..

والشمس التي خلف الوهاد

حيث لم تخطر بليل من ليالي شهرزاد

حيث لم يطلع عليها الفجر .

لم يبسط لها بيض الأيادي

في بلادي . . .
مقبرات النور والنوّار . .
ينبوع الحداد
حرفنا مضطهد الألوان ،
مغلولاً ينادي !
خنقوه ! عصروا منه لهيبه
جرّدوه من إطارات العذوبة
ضغطوه فاحترق ! .
وانفلق !
حرفنا قد صار جرحاً سابح فيه الشفق
يعقد الأزهار في صمت وخصلات الحبق !
ومواعيد مع الفجر تنادي . . .
للعصافير التي ضاعت وراء أفق بلادي
حيث ألقت . . أهملت أشعارها ،
حينما ضيّعها ليل البعاد
يسكت العصفور لكن ليس ينسى لحنه

سيغني . . سينادي
عندما يزهر زيتون بلادي !
عندما تغسل أمطار السماء
بقع السل ، وأشواك القضاء ! . . .
وخرافات تذلّ الكبرياء ! . . .
من قلوب الجبناء .

في بلادي . . .
فتحوا الجرح ، وقالوا : يقفل !
أسكتوه .. خدّروه ..
لفلفوه بالضباب
علّموه الصمت . . تشرين العذاب
وصحا للصمت ، وقال :
في بلادي ، في بلاد الناس ، في كل بلاد
يسكت الجرح ، ولا يندمل
آمن الجرح بمستقبله ،
أي شيء ما له مستقبل ! ؟

حيث يسقي من دماء الأغنيــات
في البساتين التي جفّ بها لون الحيــاة
وتغني القبرات . .
والعصافير التي عادت ، وعادت للحياة !!.

***

كنت لا أزال صغيرًا

قصة الطفــل اللاجىء
الذي لا يعرف بـلاده

حـدثوني ! علني أذكر شيّـــا
من بلادي .. عابقا في شفتيّا
أنا لا أذكر « أيام الهنـــا »
فأعيدوهـــا صدى في أذنيا
وأعيدوهـــا نداء صارخـــاً
في شفاهي ، وأعيدوها دويا !
أنا لا أذكرها ، لكنهـــا
أمـــل يغـــرق دنيـــا أبويا
ووميض ساخـــن في أعـــين
صمتهـــا ينطق شعراً عبقريا

وحديث من عجوز ، ورؤى
يقظاتٌ .. توقظ الإيمان فيا
وانتفـــاضات قلوب حية
وانطلاق يزرع الفجر السنيـا
أنا لا أذكرهـــا ؛ لكنهـا
صور مزروعة في مقلتيـا !

* * *

حدثوني عن بلادي ! إنهـا
حـــلم يغمر آفاق حياتي !
عن كروم رحبة مثل المدى
وحقول طيبـات ناضرات ..
ترقـص الشمس على آفاقهـا
والعصـافير تسوّي زقزقـات
حـدثوني عن عشاش رطبـة
بعثرتها الريح في كل الجهـات

عن حفيف التوت في ساحتنا
.. عن عبير في ذرانا الملهمات !
حدثوني ! أنا قلبي بيـدر
فارغ ! حنّ لضمّ السنبلات
املاؤه من حكايات بـلادي !
إنها أروع ما في الأغنيات
ذكروني ! أنـــا لا يشبعني
أبد الدهر حديث الذكريات

* * *

الربى الخضراء في صوتكم
بحّة ؛ قد جرح الليل صداها
وحقول اللوز في أعماقكم
شهقة ، يختصر البؤس أساها
والذرى الشماء في أعينكم
دمعة عذراء تبكي من سلاها

أصحيح قد سلا البعد ذرانا ؟

أصحيح مات في القلب هواها ؟

قسماً بالبؤس في تاريخنـــا !

لم يزل ينساب في القلب نداها

نحن لولا نشقة من طيبهـــا

نحن لولا قطرات من غنـــاها

نحتسيهـــا من بعيد ، من فم

الريح التي تعبر من فوق مداها

قسماً بالخـــبز ، أغلى أمـــل

لبطون قطّع الجوع حشاها!

قسماً بالليـــل في أيامنـــا

بقلوب نزف الحزن دماهـــا

لطرحنـــا في الدجى آمالنا !

ونفثنـــا عمرنا ، آهاً ، وآها !

حدثوني ! علّ شوقي يتضخمْ !

علّ بركان لهيـــبي يتسمم !

حدثوني ، واملأوا نفسي لظى

حدثوني ! عل جرحي يتكلم !

هاتـــف يصرخ بي منفعـــلاً

من بلادي : أيها الابن تقحّم

هاتف يصرخ بي من أرضهـــا

مستغيثاً : أيها النائي ، تقدّم !

هـــاتف زلزل مـــني أضلعي

فيه ذكري ، فيه إصرار مسمم

لا تحدّث ! حسب نفسي أنها

جذوة حمراء من نار جهنم !

لا تلمني ! أشعل الحقد دمي

وحنيني في عروقي يتضخم !

لا تلمني إنهـــا أرضي تبكي

أأطيق الصمت والأم تألم ؟!

إنهـــا أمي ، ولا أعرفهـــا

أيها الأفق الذي حولي تضرم !

أنا جيل ، لست وحدي ثائراً
قد تعاهدنا على أن نتقـــدم !
كل من فينـــا صمود فـــائر
ونداء : إننا للجرح بلسم !!

العيد أمسٌ

بالأمس .. صافحناك .. عانقناك ،
وابتسمت عيون
بالأمس .. فتحت البراعم ..
أمس هززت الغصون
كانت أراجيح الربيع .. وكنت ناصبها الأمين
بالأمس كنت أباً رؤوف القلب معطاء اليدين
في كل وجه كنت تزرع كالضحى غمّازتين
وبكل قلب نجمة أو نجمتين
بالأمس صافحناك في شغف تقطر شاعريا
ومشت حرارة جانحيك بعمرنا أملاً فتيّاً

يندى على بسماتنا
يحبو على كلماتنا
يرسو على لحظاتنا ..
فرحاً خفيا ..
وتفشت الأفراح فينا ..
في الأراجيح اللعوبه
نعلو ونهبط دونما خوف ..
شياطيناً طروبه !

* * *

بالأمس .. عانقناك .. قبلناك .. وابتسمت عيون
واليوم جئت وفي يديك الثلج .. جئت به هديه
من أين جئت ؟ أما رأتك الشمس تحمله هديه ؟

* * *

أو ما مررت على طريق كان فيه لنا مزار ؟
أو ما مررت على حقول كان صاحبها النهار ؟
أو ما خجلت ..
وأنت تحمل في يديك الثلج هذا ؟
لصاً أتيت مقنعاً .. لما رأته الشمس لاذا ...

* * *

العيد .. عند الناس كل الناس أفراح وشمع ؟
فعلام ألمحه وقد خنقته آهات .. ودمـــع ؟
وعلام ألمحه على طرقاتنـــا في الليل يشهق ؟
طفلاً تسوّل في الشوارع عارياً.. جوعان .. مرهق
ويدّق في قلق على الأبواب .. لكن ليس تفتح
وأحس في دقاته شيئاً ، أحس به مجرّح !
وأحس فيه خشونة وغرابـة وصدى مجرّح !

العيد والشمس

لم تشرق الشمس الحبيبة .. رغم إصرار النهار
كان النهار بدون شمس .. هل تصوّرت النهار ؟
كم فتشت عنها العيون .. ولم تزل بالانتظـــار ...
وتسمرت بخيوطها .. وخيوطها أمل تراءى .. واستدار
أين اختفت ؟ أين انزوت ؟ وتظل تسأل بانكسار ..
كم فتشت عنها العيون .. وكم تمناها الصغار ..
لم تشرق الشمس الحبيبه ..
لم يخرج الأطفال حلقة أنجم ..

دنيـــا خضيبه
والشارع المهجور لم تملأه ضوضاء حبيبه
والشمس لم تشرق ..
ولم تمطر حيـــاه
في كل عرق عاف من حب الحياة أذى الحيـــاه
وعيون آلاف تطلع في السماء بلا اتجاه
نصبوا وراء عيونها الجدران .. عالية الجباه
كي يحجبوا عنها طريق الشمس ..
كي تبقى تطلع في السماء بلا اتجاه
حتى تضيع على صحاري الأفق .. أوهاماً شريده
والأفق صحراء .. مشوشة الجوانب .. لم تعد فيها قصيده
للشاعر المطبوع ينشدها خيالات بليده !
حسناً ! سينشد غيرهـــا ألفي قصيده
يحدو بها للشمس إذ غابت .. فجنّ لها حنينه
والشاعر المحروم أصدق لهفة تعطي لحونه
فيه تلاقى الجائعون ..

وتجاوبت فيه الحياة صريحة .. فحكت لحون ..
تمشي مع البؤساء في الأرض التي من أجلها ..
من أجلها تندي العيون ..

من أجلها عشق الحياة البائسون ..
من أجلها عاشوا .. وماتوا .. واستفاقوا ثائرين
والشاعر المحروم هاديهم إلى الدرب المبين .

لم تشرق الشمس الحبيبة عندما نصبوا الجدار
كم فتشت عنها العيون ، ولم تزل بالانتظار
أتضيع هاتيك العيون .. ترى أيفقؤها الجدار ؟
عجباً ! إذا ضاعت ستهديها جراح الشمس ..
إن الشمس تكتسح الجدار !

اغنية كبيرة

الى فيروز

صوتك الشفاف . كم لف وكم لفّ حكايا
عن مشاوير شباب . . وصبابات صبايا
في الضفاف الزرق .. ترويها الرمال
والظلال . .
في البساتين التي مدّت إلى الشمس هديه
وعلى الدرب إلى العين . . تغنيها صبيه
صوتك الشفاف . . كم لفّ شراع السندباد
يعبر الأبعاد في غيبوبة . . عبر البحار
يغزل الزرقة لحناً بين أضلاع فؤاد
يحمل الشوق الذي يكوي بلادي

لطيور . تتغذى انتظار . .
خلف أبعاد البحار
بوحـــه الصافي أضاميم سلام ووداد
يحمل الورد الذي نسقيه من نور ونار
لمساكين ينادون النهار
يهرقون الدم والبسمات من أجل النهار
ويموتون لكي يحيا الصغار ! . .
صوتك الشفـاف . . يا جنح السنونو
يحفظ التذكار .. يرويه كما شاء الحنين
كم على ضفـّاته ناحت عيون . وعيون
كحل الليل على أهدابهـا ظل انكسار
تتلوّى . . تترقب
تتلظى . . تتلهّب . . تتدرّب
كيف يأتيها انتصار
صوتك الإنسان كم علمنا درس انتصار !
وأكلنا الليل والأشواك من أجل الصباح

آه ما أغلى الصباح !
حينما يحيا على أفكارنا
عندما نعطيه من أشعارنا
– دون أن نبصره – كل كفـاح
حينما يسطو علينـا الليل والسل المباح . .

* * *

صوتك العملاق كم يحتد في وجه السدود
يجرح الأسلاك . . يأتينـا سلالاً من ورود
يزرع النور على قبر الشهيد
أيقظيه .. اشعليه ابعثيه من جديد ! . .
صوتك الشفاف في الأكواخ يسري في الخيام
قطرات من حنان وسلام
يلثم الأطفال والنور المشرّد
يتلوى . . يتنهد

يتلظى ويعربد
زوبعات من لهيب وضرام
كيف لا ؟
خطوات الفجر تاهت في الظلام
وذوى الزيتون وانهار السلام . . .

***

. . وأتى الزنزانة السوداء . . ونادى
وتدفق
نهر نار حمّل الشمس رساله
أنت يا شمس لنا للثائرين !
أيها الليل من الغيظ تمزق !
واستفاق الطيبون

***

صوتك الشفاف .. كم لف شراع السندباد
ورسا في كل شط .. وبلاد
تحمل التذكار والتاريخ والدمع هديه
من بلاد عربيه
لبلاد عربيه
في الليالي الوطنيه
يجمع الجرح بلادي العربيه
وأساطير من الظلمات .. تلقيها إلى قاع البحار
في فم التمساح والحيتان .. في قاع البحـــار
غن عنها يا شراع السندباد
عندما ترسو على شط بلادي !

أطفالنا والربيع

أطفالنا حملوا السلال ،
ليعبثوها بالغلال
هذا الربيع مبرعم فوق التلال
بسماته نبتت تعاشيباً على صدر الحياه
وتفتّق الأزهار للدنيا خطاه
كل الحياه ،
تهتزّ في كف الربيع ، تحس إحساس الربيع
الشمس حانية ، تقبلنا وتمسح من محاجرنا الدموع
لا فرق عند الشمس !
كل الناس ترضعهم ضيـــاء !
ومنى ، وأفراحاً وضاء
وحديقــة الأحلام تزخر بالظــــلال وبالرواء

أغنية الدوري ؛ ووسوسة السنونو ، والحيـــاه
كل الحياه ؛
لا فرق عند الشمس ، تشرب من ينابيع الضياء !

***

أطفالنا حملوا السلال
عند الضحى ، ليعبثوها بالغلال
عشباً ، أضاميماً من الأزهار ، عقداً من جمال
بوجوههم أمل ، وفي أحداقهم يبكي سؤال
اسيان في قلق ابتهال
وتوسل نادى ، وأغرقه النداء :
يا أنت ! يا زهر الربيع !
صديقنـــا ، زهر الربيع !
تعبت خطانا في طريقك ، كاد يسبقنا المساء
أنسيتنا ؟ أنسيت لون عيوننا ؟

أنسيت عمر حنيننا ؟
ولنا حكايات على كرم الصباح
مشكوكة بقلوبنا
ممزوجة بجبيننا
بشتائل الورد الذي صرعته أقدام الرياح ..
أنسيتنا ؟ أنسيت لعبتنا القديمه ؟
عند الحواكير الكريمه !..
تحت العريشة .. عند جذع التوتة الحيرى اليتيمه !
وعلى السطوح ، على نوافذ دارنا
أنسيتها ؟
هي بعض أحجار تصب الليل في تذكارنا .
وتأهباً للفجر في أفكارنا
يا أنت يا زهر الربيع
صديقنا زهر الربيع
جئناك من ليل الخيام
عساك تحمل من ربيع بلادنا بعض السلام

لا شيء يزرع في جوانحنا السلام
كتحية من أرضنا ، يحبو على فمها كلام
حكاية كانت ، ولفلفها الظلام
كانت لنا أرض ودار
ومضى الزمان بنا ودار
وانهار .. وانطمس النهار ..
في جوّ خيمتنا المغمس بالدموع
بتنهدات من فم .. صلّى وصام عليه !..
حرمان الرجوع ..!

* * *

أطفالنا عادوا ، وفي أيديهم تبكي السلال
ليس الربيع ربيعهم ، ليست لهم تلك الغلال
بستانهم مهجورة أعشاشه .. دنيا .. سعال
يسطو عليه الشوك ؛ والدم ، والوبال

عادوا ، وفي أحداقهم حرمان أعوام طوال
أقدامهم في الطين حافية ، وأعينهم سؤال
عن موعد في ليل غربتهم فان الليل طال
أطفالنا المتشردون بلا نعال
الضائعون ، فكل درب للضلال
المطفأون ، فليس غير الذلّ ، ليس سوى الهزال
من أجلهم ، من أجل موعدهم تعلمت النضال
حتى يعود ربيعهم حتى يعودوا بالسلال
ملآنه من كل أنواع الغلال
فالشمس للأطفال والغد والحقيقة والخيال

***

اعترافات

شاعر تأخر قليلا عن القافلة
فثار على نفسه وعلى الحب الذي خلقه

ألحب يسأل .. والمشاوير التريكة .. والشراب
وستائر الشباك .. والفستان .. تمضي في عتاب
وتقول لي : لولا مواعـــدنا المعطّرة العِذاب
لولا خيوط النور ترشح من أباريق الغيـــاب
لولا انفلات الشال .. يبكي في تجعده السحاب
لولا ابتسامتنا التي انزرعت بليلك كالشهاب
هل عرّشت شفتاك داليـــة الأغاريد الرطاب ؟
قولوا لهم : لا حب بعد اليوم .. إن الحب تاب
قولوا لهم : عرف الطريق .. وبزّ أكداس الضباب

قولوا لهم : ديست كرامته .. فثـار به الشباب
قولوا لهم : أو لا تقولوا ! ليس يجرحني العتاب !

* * *

سيان إن غضب الجمـــال عليّ أو رضي الجمال
وإذا الحقيقة زلزلت نفسي .. فما نفع الخيال ؟
من كان مسراه طريق الشمس ، لا يخشى الليـــال
السهد .. والأحلام فارغة .. وغنجـــك يا دلال
اليوم في قلبي لظىً .. وتوثب نحو النضـــال ..

* * *

أو ليس عـــاراً هجعتي وصبابتي والكل ساهر
أو ليس خزياً بارداً نومي .. وشعبي الحيّ ثائر ؟

وأنا هناك على الدروب ألوك أحـــلام الحرائر
وضح النهار ؛ ألا انتقم يا حب !! إنك أنت كافر
وضح النهـــار ولم أزل في النوم مخمور المشاعر !

* * *

واخجلتي ! السوط يلحس من دمي ، وأنا أغني
وعويل آلاف اليتـــامى رنّ في قلبي وأذني !
فطويته متناسياً .. وبعثت للأبعـــاد عيني ..
ونداء جرح معذب في الأرض لا يرضاه فني
غمست بالأوهـــام أجنحتي .. بربك لا تلمني
متحسساً حلماً جميلاً .. علني عنـــه أغني

***

الفن للفن الجميـــل .. وموطن الفن السماء

فهناك يستوحي الأغاريد الطرية والرواء
وهناك .. لا في الأرض قد سكن الملائك والضياء
لا يطعم الفن الجميل سوى الصبابة والبهاء
والجرح ليس بمؤلم .. إن لم يكن جرح النساء
خسىء الهوى .. خسىء الخيال.. وعاش أبناء الشقاء !

* * *

أو ليس كل الفن يطعمه حنين مشردين
أو ليس جرحاً خالداً .. جرح الحزانى اللاجئين
الفجر موعده .. يقول له : فديتك بالبنين
الفن يخشع عند زفرة لاجىء خجلاً حزين
الفن يشهق بالتياع مع شهيق البائسين

* * *

الفن صرخة ثائر .. عيناه مصباح الضحى
ويد مضرجة تدق الشمس حتى تفتحا
وتقبل البؤساء والجرح الأبي .. وتمسحا ..
الفن يمشي في ركاب الثائرين مسلحا ..
الفن أصداء الحياة .. لها سيبقى مسرحا !

* * *

واخجلتاه أمام شعبي يوم يمتلك المصير
ماذا أقول ؟ ستغرق الكلماتِ جلجلةُ الصدور
شعبي ؟ أتيتك تائباً ؛ أقسمت بالبعث الكبير
أقسمت بالشهداء ، بالأبطال ، بالفجر المنير
أقسمت بالشمس الصديقة ، بالكرامة بالضمير

* * *

إني عرفت الدرب يا شعبي ؛ فقدّست الكفاح
ضمّـدتُ جرحي بالجراح
وأخذت دربي للصباح !
كيف الرقاد ؟ وحقّنا .. حق الكرامة مستباح
والصمت في قلبي تمرّد يملأ الدنيا صيـــاح ! !
لا نومَ للأحرار حتى يمسح الفجرُ الجراح

***

إني عرفت الدرب يا شعبي المدرّع بالرعود
حيث الجماهير الغفيرة تستفيـق من السجود
حيث الجماهير التي سارت على لهب النشيد:
يا اخوتي ! لن يحطم الصخر الأصم سوى الحديد
وعروسنا الحمراء ليس يزفّـها غير الصمود
والحقُّ لن تشريه غيرُ النار يا شعب الخلود!

***

لست الوحيدَ. أرى الرفاق تدفّقوا شلال صيد
بقلوبهم إصرار شعب لا ينـام على القيود
وعيونهم برّاقة يكتبن ملحمـة الخلود !.
في كل جرح من جراحهم سراج ضحى جديد
فاذا انطفا فجر سيطلعه لنا جرح الشهيد!

نار بختي في افريقيا

« تحية حب الى كل ثائر افريقي »

يا أخي الثائر من أجل الكرامه

فارساً شدّ إلى الفجر لجامَـه

نحـن والشمسُ على راياتنـــا

نتحدى الليل .. نسقيه حمامه

علـّق الجـــلاد .. علـّقه على

عوسجات الحقل .. واسلبه وسامه

الوسامـــات التي في صـــدره

دم أطفال .. ومأساة ابتسامه

واصبغِ الوحـل على هامتـــه

ألغيرِ الوحل أعداء الكرامه ؟

* * *

يا أخي الحاقد .. قبّلت الصدى

منكَ .. عانقت حكايات الشهامه

فيكَ مني روعـة الجرح الذي

نزف الفجر .. ونادى بالسلامه !

فيكَ مني حقد تاريـــخ مضى

يلحس الليل ويستجدي ظلامه

راحَ .. زلزلناه من أعماقـــه

ولعنـّاه .. وكسّرنا عظامـــه

قصـة الأفيون في تاريخنـــا

سخريات .. واذّكارات ملامه !

* * *

يا أخي الثائر في غاباته

لم تعد تحني لغير الشمس هامه

لم تعد إفريقيا حاناتهم

وبها لن ينصبَ الليلُ خيامه

الملايينُ التي حيّتك من

ساحاتنا في المجد نور .. وصرامه

يكتب الثأرُ على راحاتها

صفعة الموت .. واعصارَ قيامه !

* * *

يا أخي الثائر هل تعرفني ؟

أنا من أهداك بالأمس غرامه

آسيوي أنا حدّق ! هل ترى

في عيوني من مآسيك علامه ؟

يا زميل الجرح .. جرحي أخضر

لم يزل غضاً .. ولم يبلغ فطامه

كلما شحتْ سمائي أمطرت

من سماواتك في أرضي .. غمامه

نحن أقسمنا على البعث معاً

يا أخي ! لن يبلغ الغرب مرامه

ليَ في افريقيا نارنجة

وبآسيا لك يا صاحِ حمامه !

لمن ؟

يا ابن دمي ويا ابن روحي وقلبي
يا نشيداً عصرتـــه من عروقي !
كم قطعت الظـــلام أنفث عمري
في ثنـــاياك حفنـــة من شهيق
واختصرتَ الدجى برعشة حرف
وبنيت المـــنى ببيت رقيق ..
أخلقُ الفجرَ ، والظلامُ صفيـــق
رب فجر في قلب ليـــل صفيق
أنت في الظلمة الكئيبـــة ضوئي
وبدرب الحيـــاة أنت رفيقي !
أيها الشعر ! إن عمريَ شمع
لك ؛ فاشرب من دمع شمعي الدفوق
وادلق النورَ للأنام الحيـــارى

كم ظـــماءٍ لدفقـــة من بريق
وامسح الدمع من عيون مساكين
تواروا في ليـــل بؤس سحيق !
أيها الشعر يا حبيـــبي وعمري !
أنت قربان فجـــريَ المشنوق !
فتفجـــر إعصـــار نور وعـــزم
مستميت ، مشعشع بالبروق !

وانحرِ الليل تحت قبضـــة شعبي
واحفن النور من بحـــار الشروق

لستَ مني إذا صدحت ذليـــلاً
حائراً بانقباضـــة المصعوق !!

وصببت الأنات في حلك الغيب
لتطـــوي بالآه كل طريـــق

لست مني إذا شكوت حزينـــاً
أسكبُ النـــار في دماء الرقيق !

واشعل الثلج ، وانتفض بانطلاقٍ
من فؤادي ، ومن صميم عروقي

في شموخ الجراح غمّسْ جناحاً
وجناح عبر الفضاء الطليق !

زلزل الأفق بانتفاضة نسر
آسيويٍّ على سماء العقيق !

عمرك الكون والأنام جميعاً
وجناحاك قصة التحليق !

أفقٌ واحد يلفّ البرايا
جرح آسيا يبكي له الإفريقي

قيل يا شعر أنت ابن الملاهي
والصبابات ؛ والهوى المدلوق !

لا لشعب أهوت عليه يد الليل
سنيناً ، وليس بالمستفيق

علموه الرقاد ، زلزل كراه !
وتمرّد : يا أمتي ! استفيقي !

أفيّنوه ، وخدروه ، وقالوا :
فلسفات الحياة بلّةُ ريق !

والهدوء الهدوء حلم عميق
واستماتوا من أجل حلم عميق

يا قصيدي زغرد على كل نصر
وتفتّق مع الربيع الوريق !

عزّة الشعر لا يدنسها الليل
فنبع الضياء في إبريقي

واعتزازي بثائر عربيّ
كاعتزازي بثائر إغريقي !..

عناقيد الضياء

(تحية حب الى الجزائر)

أصدقائي !

أقربائي !

في حقول النفط والزيتون .. في أرض الدماء

سفحوها بسخاء

لتروّي غرسة الفجر التي تنبت في ليل الدماء

من جراح .. ترتوي منها عناقيد الضياء

في كروم الكبرياء

تصنع الأزهار والمجد بصمت ومضاء ..

زينة الإنسان في أيامنا جرح يغني للسناء

يا صديق الشمس يا جرحاً كبير الكبرياء

تغمد النور بليل البؤساء

* * *

أصدقائي !

في كروم تنبت الأبطال في أعلى الجبال

يا نسوراً حلقت فوق الجبال

تحرس الكرم من الليل .. ومن ذئب الليالي

غيرة التاريخ تستدفعها فوق المحال

قصة التحليق ليست تنتهي ..

أبداً تحضن آفاقاً عوالي ..

يا نسوراً بعضها قصت جناحيها أياد أجنبيه

في السماء المغربيه

فتهاوت بيد الموت تغني

بيد الموت تغني

لفظة الموت حياة في الشفاه العربيه

والقلوب العربيه

خلفها تحيا الملايين أبيه ..

فشهيد الفجر بعث وحياه

في بلاد خلق الموت بها حب الحياه

في بلاد .. كل ما فيها كبير الكبرياء
شمس افريقيا على (أوراسها) قرص إباء
وعلى زيتونها مشنقة للدخلاء

* * *

أقربائي !
في دمي كنتم وما زلتم حكايات جهاد
وينابيع من النور .. وناراً في رمادي ..
حاولوا .. كم حاولوا أن يطفئوني
وبرغم الثلج ما زال بأعصابي ينادي
من أغانيكم لهيب في فؤادي
يتحدى كل سدّ .. ينطلق
كلمات من ضميري .. تنطلق
لتحييكم على درب الشفق
دفعة تقهر أبعاد الشفق

كلمات يا رفاقي تحترق
في دم الشاعر .. في ليل عذابه
عندما تزدحم الدنيا ببابه
ليغنيها نشيداً في الورق !

* * *

أصدقائي !
أقربائي !
إنما أخباركم يا أقربائي
فرحة في قلب عمال بلادي
نشوة في عمر أطفال بلادي
ليتني كنت جناح ..
ليتني !
لأغني .. لأنادي للصباح
في صفوف الثائرين الأقوياء

في حقول النفط والزيتون .. في أرض الدماء
وجراح ترتوي منها عناقيد الضياء
في كروم الكبرياء . .

***

الى أمي ..

(من لاجىء في لبنان)

عيناكِ يا أمي .. وآلاف النجوم .. وطفلتان
وجذوع زيتون .. يشقّقها التلهفُ والحنان
دنيا شرود متعب ، ضاقت بها طرق الزمان
من أجلها صليتُ حتى الصبح : أحرقت اللسان

وبكيتُ يا أمّاهُ ، أعصابي أنابيب الدموع !
قالوا لقاؤكِ في الربيع ، وجاء يا أمي الربيع
لا فرق غير اللون يا أمّاه في الكون الوسيع
وهمٌ مواعيد الربيع بلا حنوّك .. والولوع !..

أماه يا بستـــان أيام الطفولة والوداد .!

إن كان في الدنيا لهيب لا يصير إلى رماد
فعواطفي لك أنت يا أمّاه بركان اتقاد
يا لون أيامي ! أيذكرني الأقارب في بلادي

أنا في الشمال أعيش يا أماه وعداً وانتظار
فلتشهد الأحزان إني ما عرفت لها قرار
أنا في الشمال ظللت أبكي الليل.. أنتظر النهار
زوّادتي ذكرى حنانك في دمي أبداً أوار

أنا في انتظار الصبح يحملني إليك قطارُه
عصفور أشواق ينتّف ريشه منقارُه
وتسوح في تذكار عشه ساعة أفكار
عش تعلق في أنامل سروة أزراره

آمنتُ يا أماه بالغد والصباح .. وبالكفاح
آمنت بالزيتون والنوار .. يبسم بارتياح
آمنت بالجرح الذي شد الجراح إلى الجراح
آمنت أن أنصبٌ بين يديك في نهر الصباح

أغنية حبّ من الكوخ

كوخي صغير
لا شيء مغر فيه للحب النضير
لا شيء يا فنانة العينين ! يا همي الكبير !
سُجّادُه .. وحياة غربتنا .. حصير
أو تجلسين على الحصير
وتلوثين ذيول مخملك الوثير !!
أطرافه اهترأت .. تثاءب في جوانبه الهجير
فتصوري عشر السنين
جلست عليه بعبثها .. بظلامها .. عشر السنين
جلست على أعتاب عمر اللاجئين ..
وتصوري إحدى خيام اللاجئين !
لا شيء يُغري بالهوى الحلو النضير

قنديلها قلقٌ يحاول أن ينير ولا ينير
كأب عجوز .. والدجى أبدٌ قدير
أسفاً ! تيتّم في عوالمي العبير
وهواك يحلم بالحرير
من أين لي ثوب الحرير .. ؟
من أين لي الذهب النضير ؟
من أين لي .. وأنا فقير ؟
لكن لي قلباً كبير ..
قلباً يحبّ .. يظلُّ يحلم بالغد الحلو المنير !

هكذا قال الثائر

وراح ابنه يسأل بسذاجة : لماذا أنت مجروح يا أبي ؟

لتحيا .. لتبسم يا ابني .. وتمرح
لتلهو .. لتفرح
بألعابك الهادئات
بأخشابك الوادعات
لترسو على شفتيك أماني الحياة
لتمضي .. لتسبح ..
على الأفق .. عصفور نور .. وتصدح
بأجمل ما خلق الثائرون
بأروع ما أضرم الصامدون ..
من الأغنيات

على الجبل الأخضر المضطهد
هناك الربيع الربيع جمد
وكتّفه الليل والثلج حتى انطلق
على جانبيه اللهيب انطلق
ليحرق اسطورة الليل والغدر والغاصبين
وتنبت دوحتنا . . دوحة الشمس والمجد والخالدين
تظلّل أوراقها المحسنه
وتجمعكم كلكم أخوة مؤمنه
قلوباً على خاطر الشمس مستوطنه !
لتنبت دوحتنا في الربيع
لتنشد أنت ؛ أخوك ؛ ويشدو الجميع
لترثي الأسى والدموع
لترثي الرثاء
لتحمل زهره
لتشعل شمعه
بعيدك يا ابني ، بعيد الضحى والشموع
لتجلس بين يدي أمك الراجعه

إليك بقبلاتها الرائعه ..
بتشكيلة من زهور ملونة وادعه
مغسلة بضياء الصباح
ليخطر فوق جبالك خطو الصباح
لتبسم يا ابني ؛ لتمرح
صديق الفراشات ، يا ابني لتفرح
لتلعب حتى المساء
وتحيا رفيق الندى والرخاء
لتحيا بلادك أرض ضياء
فتحت جراحي
وأرضعت منها الأضاحي !
وأسقيت منها السلام الذي يرتوي من كفاحي !
فتحت جراحي
لأفتح باب الصباح !..

مشوار حبّ

في هذا المشوار الأخضر سأفتح لـكم قلب شاعر .. وأطعمكم من زوّادته حباً وحكايات ناعمة هي بعض فصول من قصة حب عنيفة عاشها مع بطلة حب مراهقة أحبت من كل أعماقها ، وعقدت كل جمالها وحرارتها وصيف حرمانها عنقوداً على شفتي حبيبها عساها تقدم للحب شيئاً ؛ ولكنها احترقت وسقطت في منتصف الطريق ، ولم يرثها شاعرها بدمعـة واحدة ؛ لأنه آمن أخيراً أن الحب أي حب غمامة صيف مغرورة تمطر أوهامه ندى وظلالاً أثناء رحلته الطويلة في صحراء الحياة الحارة !

شائعة

عتابُ حبيبة قديمـه

أصحيح ما قيل عنك أخيراً ؟
قيل يهوى صبية في المدينـه
قيل مثلي جميلة .. أصحيح ؟
فظنوني عربيدة .. مجنـونه
علـّمتني السهاد .. ويل فراشي
من دموعي .. وثورتي المدفونه
كيف أهدأ ؟ وكيف تخمد ناري
والأقاويلُ صرخـة مأفونه
ويل أمي إذا درت بدموعي
كيف تخفي الفضيحة المسنونه ؟

قيل : يهوى صبيّة في المدينه
قيل صـــارت حياته وعيونه
كل يوم يسوق نحو حماها
خطوات تيّاهة .. مفتونـــه
وعلى الشاطىء المخدّر ترسو
من هواه .. سفينة .. وسفينه
وأغانيه في هواهـــا نبيـذ
في المقاهي .. يسقي شباب المدينه
والصبايا تدسّها حرقات
في مطاوي شلحاتهن السخينه

يطفح الحرف.. حرف شعرك ناراً
يا حبيبي على دمي .. وضغينه !!

* * *

.. والرسالات جيئة وذهاب
يا لقلبي ! ترى يطيق شجونه ؟

يعطر الحرف من يديك لديها
– أنا أدري – تأملات .. وزينه

وطموحاً إلى السماء بعيداً
يتخطى مسالك المسكونه

جنحه الريح .. أين شاء تلبي
– أنا أيضاً علوتُ يوماً متونه –

قيل قبّلتها كثيراً .. كثيراً
واستراحت على يديك أمينه

ودفنت رأسها بصدرك حتى
غارت الشمس .. قلّدتها حزينه

فاذا الكون بالظلام غريق
وإذا الشمس في البحار دفينه !

كيف كانت ؟ قل لي بحق نهودي
يوم علّمتها ختام السكينه !

أهي مثلي ضعيفة حين تطوى

تتراخى بلذّةٍ .. وليونه ؟

أصحيح ما قيل عنك وعنها ؟

أصحيح ؟ لا تستحي يا جفونه !

أصحيح ؟ أنا أشكّ ولكن

كبريائي تقول لي :

مسكينه

هيَ وأشعَاري

تقول لي أيامهـــا تعبر

في دفء أشعاري.. ولا تشعر

أنسيتها – يا فرحتي – عمرها

ما عمرها ؟ يا ليتها تذكر

العمر في عينيّ إغفـــاءة

وضمّة في ساعدي .. تعصر

وقبلة .. غيبوبة لا تعي

على فم مستلهم .. يزهر

تنفرط الأشعار من عقده

سكيرة .. يغمسها العنبر

تعتز أشعاري على ثغرها
– يا عزتي – لي ثغرها منبر

***

تقول لي إن شئت جنحتها
إن شئت تستسلم لها الأبحر
إن شئت يشهق في يديها المدى
إذن أنا يا طيش من يأمر

***

تقول لي شعري بها عابث
يفرحها .. يحزنها .. يسحر
يقرّب المرآة من وجهها
فينبع الورديّ . والأحمر
وترتمي الخصلات طائشة
والعطر في غاباتها .. ينثر

وتربك الفستان .. تربكه
يا ويله .. يطول أم يقصر
يفجّر الشهوات في صدرها
فيرتخي في صدرها المرمر
يسطو على صدريّة طفلة
وخلفها .. ما خلفها يهدر
كم مرة .. كم فك أزرارها
لا يستحي في جسمها يخطر
فهو مع النهد له قصة
خطيرة .. وموعد أخطر
وفي ظلال الساق مشواره
دنيا لظى يكبر أو يصغر
وفي .. وفي أعصابها لذة
فكل عرق عندها مجمر !!
تقول لي أشعلت آفاقها
لا شيء في عالمها أخضر

خذني اليك !..

خذني إليك !..
دعني أحس حرارة الدنيا لديك
دعني أروي شوقي الظامي إليك
دعني أعيش على يديك
دعني أموت على يديك ..
خذني إليك !
اضغط على جسدي الطريّ .. فقد نضجت
وادعك شفاهي - هكذا - إني احترقت
وعرفت موردي الحبيب ... لقد عرفت
ادعك ! بلى .. بحرارة .. إني كبرت
خذني إليك !
شعري تسلّ به .. ولا تحرم يديك !

والجأ إلى نهدين شمعيين قد بكيا عليك
طف أين شئت وحيث شاء لك الهوى ..
إني لديك
إني أذوب على يديك
خذني إليك !

ما عدت أحتمل الكلام .. فلا تثرثر يا حياتي !
دع عنك فلسفة الحنين .. وذق فضول الدغدغات
شفتاي للتقبيل لا تحرجها بالثرثرات
ظمأى أنا .. عطشى أنا .. بلّل شفاهي يا حياتي
خذني إليك !
دعني أعيش على يديك

فلقد يدور بنا الزمان .. ونفترق
ولقد يشبّ بنا اللهيب .. فنحترق
—وكما علمت— الحب في أعماقنا قلق .. قلق

لا يستقر على حنين ..
في كل يوم يختلق
ألفي حنين

ولقد يدور بنا الزمان .. ونفترق
بين السنين
من غير أن تبقى على شفتيّ ذكرى تخلد
وحكاية الذكرى التي تتردد
أحيا لها فلعلها تتجدد !
خذني إليك !

أنقذ مخدتي التي بللتها .. أنقذ غطائي
أنقذ فساتيني التي طرزتها بالكبرياء
فصّلتها لك كي تراها.. كي يزيد بها ازدهائي !
أنقذ مناديلي التي فضحت بكائي
أنقذ مراياي التي تعبت .. ولم تشبع روائي
خذني إليك !

دعني أضيع دقيقة في مقلتيك

دعني أجيء إليك.. لف على ضلوعي ساعديك
أيامنا معدودة وأبيعها بدقيقة في ساعديك
دعني أنام على وسائد ركبتيك
دعني أعيش على يديك
دعني أموت على يديك !
خذني إليك ! خذني إليك !

رسالة انثوية

يا شاعرا غنى لنا أشعاره وتفتّنا
فتسلّقت برشاقة وبخفة شرفاتنا
فاعشوشبت أستارها .. وتبرعمت آفاقنا
وتسابقت زمر العصافير الطليقة نحونا
نيسان أغراه النشيد .. فجاء طفلاً أرعنا
يعدو على آفاقنا يهوى ويغزل أغصنا
وبراعماً شقراء كالحلمات .. ترضع طيبنا

* * *

يا شاعراً غنى لنا أشعاره .. وتفننا

أهدى لنا عقد النجوم قصيدة .. أهدى لنا
والأفق أمطره ندىً عذباً .. وسار .. ولوّنا
أبياته تشكيلة من كل لحن دنـــدنا
مجبولة من خشخشات الفلّ في بستاننا
من رفرفات حمامة بيضاء فوق سطوحنا
من تمتمات نسيمة .. مرّت على سرواتنا
من همس عشبات غريبات على جدراننا
أبياته حملت لنا قشاً لتبني موطنا
عشاً من الحبّ الدافىء على نوافذ حيّنا
ورمت هناك نجيمة حمراء مثل شفاهنا
وزنابقاً خضراء أو زرقاء مثل عيوننا
العش أصبح خيمة للحبّ تجمع شملنا !

* * *

يا شاعراً غنى لنا أشعاره .. فأهاجنا

لولا أغانيك المثيرة ما حسدنا بعضنا
ولما تلفتت العيون إلى كنوز صدورنا
فتعال واحصد خيرنا لم ننس فضلك عندنا
دع عنك هفهفة العبير .. وهمس أنسام المنى
إنّا هنا في الانتظار .. تعال لوّن عمرنا
سوّ النهود قصيدة شقراء وانشد معلنا
هي في انتظارك جذوة حرقت ستور حريرنا
ضاقت بها .. وتذمرتْ من وهجها حلماتنا
فبكت .. وبللّت الدموع البيض صدرياتنا
واستنجدت بك فاقترب ..
واطفىء لظى شهواتنا
وافرك كما شئت النهود .. بخفة متفنّنا
بقصيدة تبقى تدغدغنا .. وتصنع مجدنا
يا شاعراً غني لنا أشعاره .. وتفننا
أبياته اتخذت لها أكبادنا .. مستوطنا ..

اغنية الى عَابر

وفجأة بعد غياب شهور
مرّ في حيّها وقد تغيّر قليلاً
فناجته ..

ماذا تريد ؟ وقد جمدتَ ببابي
متنسكاً في جانب المحرابِ ؟
لا شيء قلتَ .. ولا عيونك أومأت
شيئاً .. ولا بكت السماء ببابي
من أين جئتَ ؟ ومن هداك لحيّنا
ودروبنا وهم بفكر ضباب
شرفاتنا ما لوّحت أستارها
أبداً تزرّرها خيوط سحاب ؟

من قال منزلنا هنا متلهف
لخطى منغمة الرنين رطاب

من قال إني في انتظارك أرتمي
غيبوبة .. وتوسلاً لخطاب

رفّ السنونو لم يزركش بيتنا
هل جئت تؤنس من أسى وغياب

أهبطت من كرم النجوم وجئتني
بنجيمة تزهو على أبوابي ؟

وعلى الغيوم الزرق جئت تسوقها
وحبكتها عشباً على أثوابي

من أين أنت هل انتسبت لنجمة
تيّاهة .. يا عزة الأنساب !

هل جئت في يدك الربيع سلالهُ
منها تدلّى الورد ملء ثيابي

عيناك يختصر المدى جفناهما
إغفاءة حلمت بسرب سراب

بيني وبينك أي حلم لا تقل :
ذوّبت في عينيك كل عذابي

اهمسْ ! لأعرف لون صوتك ربما
فعبيره قد ساح في أعصابي

وخطاك تلهث في الطريق فهل لا
أن تستريح وأن تريح شبابي !؟

حكاية

وفي ليلة عاطفية حكت الى اختها هذه الحكاية

أختاه !

غيّبني ، ولم أدرِ

كيف اندفعتُ إليه في سيري

قد قال لي يوماً ، وفي شفتيه ما يغري :

شفتـاك عنقـودان من عنب

يا كرمة العنب !

ومضى ، ولم يترك سوى الزغب

من كرمة العنب !

أختاه !

راح ولم يعـد ويـداه في صدري

نبعـان من شغف ومن لهف ومن جمر

عيناه لو تدرين يا أختي !

عصفورتان من السماء، تخطفان الصفو من عمري

قد طارتا ؛ فأنا إذن اقصوصة الصمت

وترقبٌ كابٍ ، ولحنٌ عـاثر الصوت

بحياته ؛ بهدوء عينيه ، أقلي اللوم يا أختي !

أختـاه !

هذا الضوء يزعجني

يا حبـذا لو تطفئينـه ! فهو يزعجني

عينـا حبيبي راحتا ؛ ما الضوء ينفعني ؟

في وهجه زهو تحدّاني

تحدّى كل أشجاني .. وأضعفني

حسناً ..

وفي شفتيـه يا أختـاه حرمانُ

تتوسلان وفي شفـاهي الخمر وألحـان

أغلقتـه ؛ وأودّ لو أعطيه أجفاني !

ونهرت في عنف ، نهرت لهيب حرماني
وطردته ؛ أوصدت دون حنينه بابي !
فبكى وأجهش عند أعتابي
وأعاد لي ، قد صبّ في بدني
نافورة الشجن :
شفتاك عنقودان من عنب
يا كرمة العنب !
فانهـار في بدني التكابر حيث زعزعني
أختاه ! غيّبني ولم ادر
كيف ارتميت على يديه ، وذاب في صدري
لم يكفه يا أخت لم يكف
بل راح في لهف
ليطفي رعشة النهد الذي بالنار يلتحفُ
والنار يا أختاه تعترف
وغداً ينقّط من مزيج النار بالحلب :

نهداك عنقودان من عنب
يا كرمة العنب !
أعطيته ما شاء يا أختي
بحياته ؛ بفضول كفيه ؛ أقلي اللوم يا أختي
وأفقت في ذعر
وفي بدني انكسار بارد يسري
وأفقت ؛ ثرت لكبريائي ثرت في ذعـــر
وصفعته — يا للندامة — بعد أن سلمته أمري !
أهواه ، أعبـــده ، ينام بصدره عمري !
أختـــاه !
راح ولم يعـــد ، ويداه في صـــدري
نبعان من شغف ومن ذكرى ومن جمر
— فمتى تعود إليّ يا عمري ؟ —
أختـــاه ! لا . لا تفضحي سرّي !
لا تخبري أمي وتحكي كيف غيّبني ولم أدر

مذ قال لي :

شفتاك عنقودان من عنبٍ

يا كرمة العنب

ومضى .. ولم يترك سوى الزغب !..

من كرمة العنب ...

خيالات مَوعد

كم من موعد احترق على شفاه ظامئه

مات في المهد .. ولمّا يزهر

موعدٌ .. ترعاه عين القمر

موعد كان طموحاً .. ربما

لقط النجم .. وشمس السحر

ربما دسّ الضحى في جيبه

سارقاً .. يجرحُ كفّ القدر

ربما يسرق أحداق الربى

وأكاليل الربيع العنبري

ربما يحفن شلاّل الندى

وغمامات العبير المسكر

ربما تخشع في قبضته

قبةُ الأفق وعمر العصر

تلهث الدنيا على ركبته

بصلاة المذنب المستغفر

موعد .. لو عاش يوماً واحداً

عشتُ في الدنيا نشيداً عبقري

ملهم .. يحسن تدويخ الدنى ؛

يسبق الغيب إلى المستتر

ويمشي الطير في قافلة

تغرقُ الدنيا بشدو مزهر

يحصد الغابات في تجواله

ويسوّي طوق حب أخضر

وشراعاً واسعاً مثل المدى

دوّخ الريح .. وموج الأبحر

أعتلي خيطانه في رحلة

كحكايا الصيف .. مثل السمر

موعد .. أعطيه من عمري ومن

خلجاتي .. من دمي المستعر

موعد لو عاش يوماً واحداً

بلع الدهر بلمح البصر

آه لو عاش على أيامنا

موعد .. ترعاه عين القمر !!

هاربٌ من الصَحراء

سأمضي .. هنا الأفق مستسلم للغيوم
تسمّم ما فيـه حتى رفيف النسيم
واطفأ ليلٌ بعيد المدى وشوشات النجوم
وأسمع أغنية من جيوب البعيـد
ملوّعه ، جمّدتها أيادي الجليـد
فتوقظ مـا نامَ في عمرنا من هموم ..

***

سأمضي ، أحسّ صراخاً رهيباً رهيب
تسلّل من حفرة عند هـذا الكثيب

وأبصر عينين مجمرة للهيب !
تشبّ بأعماقنا قلقـاً .. وارتجاف
وصرخة خوف سحيق ، ألسنا نخاف؟
وهذي الأفاعي تغرّز فينا النيوب ؟

***

سأمضي ، أما آن من غفلتي أن أفيق ؟
واعلم اني توغلت حتى أضعت الطريق
واعرف ان السحاب الذي كان يغشى الشروق
تروح به الريح مهتاجـة في الفضاء
شبيه بقصتنا ؛ سوف تضحي هباء
وانا سنمضي مع الريح رمـلاً دقيق ؟!

***

أطلت الوقوفَ ، وكنت سخي الروايه

وسقت الأماني ملوّنة للحكايه
وأهديتها زهرة العمر منذ البدايه
وها هي تبهت أحلامَ عمر شهيده
وترسب في قاع كأسي ، قصيده !
تقطر حزناً وليلاً ، لترثي النهايه

حبّ في العيد

(شفتاك والعيد)

شفتاكِ والعيد الذي يرسو على شفتيكِ أغنية جديده
ألقوا على شفتيّ أشياء .. ألملها قصيده
لن تسمعيها من فمي .. فأنا بعيد يا بعيده
لن تسمعيها .. فالسدود — كما علمت — على شواطئنا وطيده
بيني وبينكِ تقطن الأجيال أسواراً عنيده
لن تسمعيها من فمي .. لكن ستنشرها الجريده
فترقبيها .. بعد أيام ، ستنشرها الجريده ..

* * *

والعيد سوف يمرُّ عادياً .. يمر بلا حياه

يوم سيمضي تاركاً أسفاً وذكرى وانتباه
وجميع أيامي تمرُّ وخلفه أسف وذكرى وانتباه
وضراعة تستنجد الشمس التي مرّت ، تحرّق في الشفاه
وحكاية كادت تكون ؛ وربما ستصير في عمري صلاه
إن مرّ عيد آخر سأقولها في معبد الذكرى ، صلاه
لكن ، أأفطن حين يأتي العيد ؟ إذ أنسى الحيـاه
وأغور في دوّامة الأحزان ، طبعاً دونما أيّ اتجاه

عيد بلا شمعة

صمنا وأفطرنا على أمل اللقاء .. وما تفتح
ما زال وعداً .. فكرة .. وصدًى مجرّح

نسقيه من عرق الرسائل .. كل يوم صفحتين
نسقيه .. نطعمه ليالينا .. وننظرُ حائرين
هل فتّح الأمل الكبير .. وهل تبسّم في اليدين

وهل ارتوت عيناكِ من صور اللقـــاء ؟
وهل اكتست شفتاكِ أنداء .. وهل نفع الدعاء ؟

والعيد موعدنا .. وجاء العيد ، لكن مضمحل
شفتاكِ لم تطفأ على شفتيَّ .. لم نفطر قُبَل

ما زلتِ .. معنى ناقصاً .. أعطيه حتى يكتمل
أعطيه من عمري ومن ذاتي .. حـكايات الغزل ..
شفتاكِ لم تسكر على شفتي .. لم نفطر قبل

والعيدُ جاء .. وكان موعدنا .. ولم تبك السماء
أسفاً على أمل تنـــاثر كالضباب على المساء

والعيد إنسان رؤوف القلب معطاء اليدين
في كل وجه كان يزرع كالضحى غمّازتين
وبكل قلب نجمة أو نجمتين

وبكل ثغر كان زغردة حبيبه
كم شمعة ذابت على كفيه .. طاهرة سكيبه ..

فعلام لم يحمل لنا ولو قشه .. لو خيط نور
نحيا على إشراقه بعض الدقائق .. ثم نختصر العصور

وعلام لم يحمل لنا غير الضباب المائث
وصدى انفعال عاش بين ضلوع أمس الفائت
وتحرّق الأمل الشقيّ الصامت

عجباً .. وجاء العيد في عرس الربيع
وليس يحملُ وردة أو برعماً .. أو شمعة .. وبكى !

***

والعيد والأمل الذي نحيا عليه .. له .. ولكن ما تفتح
صمنا وأفطرنا عليه .. وما تفتح !

مَع الوسَادة

حين تحكين للوسادة عني

وتقصّين عن هوانا حكايا

كيف أعطيت للهوى خلجاتي

وعيوني .. وكل عمري هدايا

وتطوفين بالخيال بعيداً

وتسوّين أغنياتي مرايا !

تبصرين النهار فيها جديداً

وتعيدين تمتمات الصبايا

وهدوء الشطآن إذ تتلوّى

تحت شمس الأصيل .عند العشايا

لا تسوقي الكثير من أغنياتي

أنا أخشى بأن تشبّ شظايا !

تأكل الليل حرقةً وحنيناً

فتروح الساعات فيه ضحايا !

وتثيرين ضجة ، وانتباهاً

ينصب النار في عروق الزوايا

***

عمرك الورد يا حمامة عمري

أنا أخشى عليك شوك هوايا

واطمئني ! ما دام فيّ حياةٌ

تطعم الحبّ من صميم حشايا

عمري البذل والسخاء لأني

حين أعطيك تفتني دنيايا !

وإذا ما النهار فات وولّى

سيزول الغرام إلا بقايا ..

حين تحكين للوسادة عني

لا تقصّي عن كل شيء حكايا !

مسافر

قال لها سأعود عند الغروب
وراح ولم يعد

« سأعود عند المغرب »
وتركتني
وبكيت حتى المغرب
عند السياج على الرصيف المتعب
أرنو إليك .. وأنت تبعد في الطريق المترب
وعلى خطاك الوب ثم ألوب .. ثم تختبي
خلف البعيد .. وأختبي
في ليل عزلتي العميق .. وما معي
إلا حفيف خطاك يزحف في خلايا مسمعي

ورفيف قبلتك المضيئة في فمي المتوجع
عبثاً أناديك : ارجع ..
والشمس خلف خطاك .. مأساة ، تغيب
بصقت دوائر من ظلال في الدروب
في نورها وهن وبرد .. في محيّاها شحوب ..
وجناح عصفور يعود بقشة
يهوي لمفصل وردة
حضنت زغاليلا ، تسقسقُ في مفصل وردة
ومن البعيد .. من البعيد .. أرى خطاك
تحتدّ تلتهم الطريق إلى هناك
وعلى عيونك يا حبيبي لا تزال
تلويحتي .. منديلي الكابي الظلال
يندي اذكارات طوال
ويرشّ عطراً باكياً .. فرحاً حزين
منديلي الفرح الحزين
حمل الدموع .. وخف خلفك ثم طار
وظللت وحدي ، لا عيونك ، لا خطاك .. ولا نهار

إلا صدى متقطع عبر البحار

في كل رعش غابة تبكي .. وعاصفة تثار

« سأعود عند المغرب »

وتركتني

أسطورة تروى .. سيحفظها الصغار

حتى الصغار

عند السياج على الرصيف المتعب

كانت تناديه .. وتبكي بعد بعد المغرب ..

قبلة

وقطفتها عنقود أشواق

فتخدّرت أعماق أعماقي

أضمومة من نشوة ، غمرتْ

شطآن حرماني ، وآفاقي

وعلى شفاهي أزهرت خصل

من رفرفات حنيننا الباقي

لما تعانقنا وغيّبنا

شلالُ آهات وأشواق !

وتخبّأ النهدان في صدري

كأسين من لهف وترياق

صدري وسادة أنجم ورؤى

لحبيبتي ، وربيع أوراق

ركـّزتها وبدأت ملحمتي
شفـــة على شفة باطبـاق
أنا بعضها .. أنا بعض ملهمتي
هي في دمي ما يسكب الساقي
كاساتها اندلقت على شفتي
وتسرّبت لدمي وأعراقي
هي بـين أثوابي مخبّأة
وعيونها ضاعت بأحداقي !

الناس في قصتنا

صديقتي
ان مرة تحدثوا عنا .. وقالوا : افترقوا
وضيعـوا أيامهم .. وافترقوا
وثرثروا .. وأسرفوا .. واقلقوا
وسودوا صباحنا .. وهتفوا :
لا يشرقُ
أو غرسوا أكذوبة في كل حرف تقلق
أو سلبوا كنوزنا من الهوى .. وسرقوا
فكلهم محقّق في حبنا .. مدقّق !!
وكلهم يخلق من خيـاله .. ويخلق
وكلهم يقول : راحوا .. افترقوا ..
يقولهـا بنشوة .. بكبرياء تخفق

يقولها بعزة .. بأنفة : لن يلتقوا ..
كأنما فراقنا له ندى وزنبق
لعينه إغفاءة .. وحلم لا يسبق

* * *

صديقتي !
لا تجرحي ذلتهم .. فكلهم مختنق
حقّ لهم أن يخبلوا .. حق لهم أن يغرقوا
قصتنا تطرفت .. وغار فيها الأفق
كم حيرت.. كم دوّخت واحتار حتى الشفق
فهي حديث ناعم .. يشرب منه الحبق
وأغنيات من عشاش حالمات .. تعبق
ونشوة غرقى .. ودنيا فرحة تصفق
قصتنا تطرّفت .. ومات فيها المنطق
كم أشغلت فراشة .. وطائراً يزقزق

على جناح نحلة صغيرة .. تحلّق
على ضفاف جدول مع الندى .. ترقرق
فللربيع موعد ، عند هوانا مغدق
والسماء مطمح فينا .. وحلم أزرق
فهل نخاف بعدها ؟ قصتنا هل تخلق ؟
والناس .. هل للناس غير أمل يفرق
وفكرة شيطانة عتيقة .. لا تشفق
فلا تلومي قولهم ! لا بأس أن ينفلقوا !

* * *

صديقتي !
لا تخبريهم كيف كانت تشهق
على يدي فراشة هائمة تحترق
تود لو تنطلق أنّى لها تنطلق !
تخبأت في رئتيّ نغماً يغرورق ..

وكيف كانت تلتقي عيوننا .. فنطرق
النار في قلوبنا .. على الوجوه تشرق

***

إن أطفئت شعلتنا أرواحنا لا تخلق
ما دام في الدنيا ورود حلوة .. ورونق..

رسالة حبّ

حبيبتي !
زوّادتي في غربتي
رسالة .. ومقلتان تبسمان
في كل حرف تبسمان .. تشرقان
وترسمان .. البحر والمدينه
وخضرة مبثوثة على فم الرسالة الحزينه
أقرؤها .. أعبّ من حروفها
ومن صدى رفيفها
النبيذ .. والحنان
والوهم .. والحرمان
لا شيء يا وحيدتي في الحبّ كالحرمان !
.. وأغمض العينين يا عصفورتي بنشوة

لكـي أراكِ .. كي أراك في الخيـال
ترنيمة ما خطرت .. ما خطرت ببـال
كتبتهـا .. وقد تدلـّى الشال .. كالسؤال
يسأل عن حصتـه في سحبـة الموّال ..
.. عن صحتي في البعـد .. في الجبـال
في قرية مشلوحـة الظلال
في مدرج السفوح والتلال ..
ويرشح العبير .. والحنين .. والسؤال
ويغمر الورق
بالفل .. والنعنع .. والحبق
وشلحة الشفق ..
.. وأغمض العينين فى إغفاءة
لا تعرفُ الزمان
.. تكفر بالزمان!
تروح بي .. تجيء بي كخاطر في خاطر الكمان !
لكي أراك .. كي أراك في الخيال

— لا شيء يا حبيبتي في الحبّ كالخيال ! —
اعيش في مفاصل الحروف
أغيب في تدويرة الحروف
ما أكرم الحروف من يديك — يا حرماني الملهوف
تذرّ في أعصابي النغم
تذرّه بلا حساب .. طيب الألم
في كل عرق من عروقي مشور النغم
.. وأغمض العينين ثم أفتحُ .. وأمرح
وافتح السماء لي أنا .. وأفتح
وتفرح النجوم بي وأفرح
ما أقرب النجوم ! ما أسهلها يا مطمح !
فيها الرقي والسحر في يدي
وخاتم الشبيك واللبيك في يدي ..
زوادتي رسالة .. فهي لديّ مصحف
وفرحة تنتعف
وعلبة من أنجم .. ونسمة ترفرف ..
تهفهف !

حبيبتي !

يا وردة في رئتي !

أنا هنا .. والشمس يا عزيزتي !

عريشة صفراء

والأفق كرم أزرق .. معلق

على ذرى جبالنا الزرقاء ..

أنا هنا أحدّث الصباح والمساء

وأهرق الأشعار

وأحبك الأزرار فيها .. أحبك الأزرار ..

فهل تراها تعبر الأسوار ..

مجنّحات .. تنقر الشباك نقرتين . نقرتين

لكي تقول إنني هناك بين بين !

مجرّح مشتاق

وعالمي أشواق

وصحتي لا بأس بها .. لكن عالمي أشواق

***

حاقدة

حقد العصافير البريئة شعّ واستكبر

بعيون من أهوى ، ومن لعيونها أسهر

بشفاهها ، إغماءة الإغماء .. والسكر

حيث احترقت دقيقتين على فم العنبر

وأفقت ، ما تاب اللهيب بنا ، وما استغفر

ماذا أفقت ؟ طموح دنيا ، عالماً أكبر

وبصدرها حقد أيحقد شاطىء المرمر ؟

قالت : سأنسى حبنا الأخضر

أنا لن أعود إليك ؛ فلتسهر !

وتنتف المنديل في يدها وما استفسر

وتوعدت ، وتوعدت أكثر

(يا خائني !) وتظلّ تعتب ، يا دمي اسكر !
هذا عتاب صديقتي كم هزّ كم خدّر
هو للغرور شراهة ، هو للهوى سكّر
من حقدها أنا لا أخاف ، فحقدها أخضر !

***

اغنيـة عند نافذتها

أنا حول دارك درب مشواري
وبدايتي .. وختـــام أوطاري

حدّثت دربك ؛ كيف ؟ لا تسلي
عن بعض رحلاتي وأخبـــاري

وفرشتـــه ، يا كلّ فلسفتي !
بجدائلٍ من حقل أزهاري

أنا فيه أمشي ، وهو في بـدني
لربيع ألحانٍ واغمارِ

فتصاحبت وخطاي تربتُـه
وتفتّقت بستان تذكار

يا فرحتي ! إن جئت يفرح بي
فحجاره نوّار آذار !

أنسامه الزرقاء تملؤني
وإلى السماء تشدّ أزراري !

أمشي إليكِ وفيّ عاصفةٌ
شتويةٌ ، وجنون تيّار

امشي ، وفيك الشطّ مختصر
والصدر حرماني وإعصاري

أنا حول دارك درب مشواري
ومراكبي انفلتت .. وأقماري

أنا تحت شرفتك التي شلحت
أستارها .. عن مرج نوّار

هفهافة زرقاء تملؤني
هفهافة .. يا سر أسراري

أأبوح باسمك ؟ آه يا قلقي !
وحروفه كنزي وأفكاري

أرنو إلى تمثال أخيلة
حصدت عيوني .. حرّكت ناري

شال المساء عليك مرتبك
كابٍ ، فكيف أريح أنظاري ؟

أنا حول دارك درب مشواري
وحدائقي .. وسماء أطياري ..

يا صورة زيتية شهقت
بتنهّدي ودموع أشعاري

وأخيرا

أهذا الذي يا حبيبي رجوناه لما بدأنا حكاياتنا ؟
ومن أجله يا حبيبي بعثنا ليكشف آفاقه وهمنـــا
وصلى الزمان وصام المكان ، ونحن نعرّش آمالنا
وسقنا خطانا سراعاً خفافاً تدوس سجاجيدَ أيامنا
أمن أجل هذا خمشنا الخيال جرحناه لما التقينا هنا ؟
ففيم التقينا إذن يا حبيبي ؟ وكان على قبلة سكرنا
وفيم سفحنا دماء الشباب لنغزل وردة أحلامنا ؟
أمن أجل هذا احتملنا العذاب وقلنا الصباح مواعيدنا !
وهدهدَ فينا الربيع جفاءَ الخريف وقلنا الربيع لنا
وغبنا نسوّف أحلامنـــا ورحنا نخدّر أوجاعنـــا
لأجل المحبة كانَ الظلام جداولَ نورٍ على أفقنا
وباسم الهوى يا حبيبي تموت المسافات والليل ما بيننا
وباسم الهوى كلّ درب حرير حرير يقبّل أقدامنا !

لأجل الهوى كانت الريح شالاً لنا ، أزرقاً ليّنا
وعندي وعندك سرُّ الدنى وخاتم سلمان ملكٌ لنا
قسوت حبيبي ؛ حرام .. حرام نضيّع أيامنـــا
إلى أين نمضي .. أناديك ؛ اني خلفك ، فيك أحث المنى
لعينيك .. ليلي الطويل .. وفجري القصير وكل الذي في الدنى
لعينيك عيناي .. قلبي ذاتي فكري .. جسمي كلي أنا
أحبك .. حتى القساوة فيك .. وحتى فرارك من دربنا
فأنت الحياة ربيعاً خريفـاً ولا بد لي أن أعيش أنا !..

طفلة في حبّ

طفلة أنت في الجروح صغيره

أيّ ليل ترى قرأت سطوره ؟

عبثٌ وصفك السهاد وزورٌ

وادعاء دمعاتك المسطوره !

أمس عبّأت في الحنين خطاباً

وخطاباً .. بلهفة مسعورة

وتألمت في الحروف كثيراً

لعنة الحب في الحروف الكثيرة !

وتزينت لي أنا يا غروري

والمواعيد طفلة مغرورة

والتقينا .. وكان ما كان مالي

والذي مرّ يا جروحي الغزيرة ؟

ما عرفت الغرام إنه نار

واندفاع ونشوة مخمورة

وارتخاء .. ولهفة وجنون

وعطاء حق الثواني الأخيره !

الهوى ! انظري الشموع فناء

انظريه .. فالشمع أروعُ صوره

الهوى ، اسمعي الكنار يغني

بين أحضان نبتة مغموره

الهوى ، انظري الربيع سخاء

في عروق الصخور غزّ زهوره !

***

أمس عرّشت عالمي بسمات

وعناقيد أمنيات كبيره

وأتى الصبح يا ضياع شبابي

فشبابي حديقه مهجوره !

لا عبير على وسائد ورداتي

استراحت دفقاته المنثوره

لا أغاريد حلوة تترامى

- تغسل الصمت ، من فم العصفوره

لا صباح يذرّ موجة نور

من شبابيك شمسنا المستوره

كيف كنا .. و كيف صرنا رماداً

أفكانت حياتنا أسطورة

هكذا الريح كارتعاشة حلم

حولتنا لقصة مقروره !

غَدًا

غداً سيقال عنا ما يقال

ويرتفع التعجُّب والسؤال !

ويحترق الفضول بكل أنثى

حكايا الحب في فمها سلال

نزيف الحرف عنا خيط ليلٍ

وحرمان ، ودمع وابتهال !

غداً ، ستلمُّ سيرتنا جموعاً

فتدمع مقلة .. ويضجُّ بال

ويشرد بعضهم معنا طويلاً

ويعجب كيف دوّخنا الضلال !

ويسمع لهفة القبلات ، حتى

يغيّبه حنين وانفعال !
ويتكىء المساء على حـديثٍ
قديمٍ من محبتنا .. يقال
عناقيد الربيع على يدينا
تحيّر من تدلّيها الخيـال !
على خطواتنا ينبوع خصب
ومزرعـة وأشواق طوال
غداً سيقال كانت في يديه
جواباً ؛ مات في فمه المحال !
وهزهز نهدها إبريق خمرٍ
فدمدم تحت برعمه اشتعالُ !
وعرّاها وألبسهـا مراراً
وبين يديه ما شاء النوال !
تناغيه بنهديها سخـاء
وينحب في محبتها الدلال !
على الأسحار شدّهما وثاق
ولفّهما على الآصال شال !

غداً سيقال عنا ما يقال
ويبكي في نهايتنا هلال
نهايتنا ! ويحتدُّ انفعال
نهايتنا ؛ بلى ! تهْ يا زوال !
غداً سيقال : عادا باحتراقٍ
وليس وراهما إلا الظلال
غداً هل نلتقي ؟ مت يا خيالي !
ويشهق موعد .. وتئنُّ حال
وموعدنا غداً ديوان شعر
يقول لمن سيسأل :
لا نزال !.

فهرس